

الحراك المجالي لضواحي المدن و علاقته بخلق علاقات اجتماعية جديدة دراسة ميدانية ببلدية دالي إبراهيم - غرب العاصمة -

أ. حنيفي سميرة

جامعة الجزائر 2

الملخص:

خصص هذا العمل لإبراز الخصوصيات التي يقدمها الحي أو منطقة إقامة المبحوثين ومميزاته التي تستقطب السكان وتعمل على خلق تفاعلات وعلاقات وتعايش بينهم. رغم إختلاف المناطق التي إنحدروا منها، ونحاول إظهار كيف أنّ المجال يعطي لنفسه (الأفراد يعطون له قيمة رمزية) قيمة رمزية و إجتماعية تساهم وتؤثر على حركية الأفراد ودرجة إندماجهم، وهذا حسب ما تطرق إليه المفكرين الكلاسيكيين كإبن خلدون وآخرين الذين يقرّون بتأثير المجال الفيزيقي نظرا لقيّمته المعطاة الإجتماعية والرمزية على ممارسات وتفاعلات الأفراد، وكل هذا يؤثر على درجة إندماجهم فيه.

مقدمة:

عرفت كل مدن العالم نموا حضريا وبوتيرة سريعة بفعل الزيادة الديمغرافية الطبيعية، والهجرة الكثيفة والسريعة نحو المدن، خاصة وأن هذه الأخيرة تتمتع بخاصية الجاذبية وذلك بتوفيرها على مختلف المرافق والمتطلبات الضرورية للحياة. " فهذه التحولات الديمغرافية والوظيفية السريعة التي تزامنت شدتها مع إستعادة مدينة الجزائر لوظيفتها كعاصمة وطنية عام 1962، كان من شأنها إحداث نمو عمراني غير مسبوق.

أدت هذه التحولات إلى خلق ديناميكية كان من شأنها إحداث تغيير عميق في بنية المدينة، وتوسع كتلتها الحضرية، وذلك بإمتدادها في مختلف الإتجاهات، وهذا النمو هو في الواقع نتيجة السياسة العمرانية التي تبنتها السلطة العمومية منذ الإستقلال، بهدف تطوير وتنمية العاصمة، لتصبح قطبا رئيسيا في مختلف المجالات في البلاد " (1).

منذ أكثر من عشرية من الزمن، تعرف الجزائر تحولات هامة تحت وقع الإنتقال من الإقتصاد الموجه إلى الإقتصاد الحرّ، وهذه التحولات أثرت بطريقة مباشرة على الجانب العمراني، وتمثل الخصائص الرئيسية لحركية التعمير الجديدة في " تحرير السوق العقارية وهذا ما ترتب عنه دخول وتعدّد مختلف الفاعلين الإجتماعيين المتحكمين في العقارات على خلاف الدولة، وهذا ما ساهم في بروز ضواحي ذات قيمة عقارية كبيرة على حساب مناطق ومجالات أخرى مجاورة للعاصمة (2) الإشكالية:

بعد ما كانت المدينة بمثابة مركز إستقطاب، وقوة جذب الأفراد لها أصبحت مركز طرد للسكان منها، فهذه الظروف جعلت من الأفراد القاطنين بها ينتقلون إلى جوانب أخرى من ضواحيها قصد توفير مجال عيش أفضل، بحثا عن الإستقرار والإقامة خارج مشاكل و زحم المدينة وفي نفس الوقت، الإقامة والسكن في مجال لا يخلو عن الخدمات والهياكل القاعدية والأساسية، وفي آن واحد لا يبعد عن المراكز الإدارية والإقتصادية، فيضمّنون بذلك إزدواجية مجال الحياة.

ونظرا لتواصل التدفق السكاني نحو المركز (العاصمة)، حيث أن وتيرة الزيادة السكانية العاصمة في إرتفاع، وذلك حسب إحصائيات ولاية الجزائر، مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، وصل سكان العاصمة سنة 2006 إلى 2.846.580 نسمة، بعدما كان سنة 2004 يقدر بـ 2.733.337 نسمة، ووصل إلى 2.947.461 نسمة سنة 2008 (3).

فإنّ المدينة بدورها تنتج أحزمة حضرية تتوسّع بها والمتمثلة في الضواحي والتي تستقبل فائض السكان من بلديات الوسط أي وسط المدينة، وكذلك الأنشطة التجارية التي إنتعشت في سنوات 1990 و 2000، " أصبحت تشغل مساحات

معتبرة في العديد من بلديات الضاحية تتمثل في المخازن والمستودعات وتجارة الجملة ونصف الجملة كـ "الحمير" بالدار البيضاء و " المنظر الجميل " بالقبة، و " الطريق الرابط بين دالي إبراهيم، والشرافة " بالضاحية الغربية، وبالتالي أصبحت هذه المناطق هي المجالات المفضلة للسكان حيث تستقطبها، ليس فقط بسبب وظيفتها، وإنما كذلك لتوفرها على الأراضي من جهة، وباعتبارها أماكن قريبة من المركز " العاصمة " وخالية من الأنشطة الصناعية المولدة للتلوث البيئي من جهة أخرى " (4).

فلاحظ أن مركز المدينة (العاصمة) يدفع بجزء من سكانه نحو الضواحي، كما هو حال المدن الكبرى في العالم. وهؤلاء الأفراد أو السكان المتنقلين للضواحي يعتبرون فئات إجتماعية قادمة من مناطق مختلفة، وأحياء مختلفة من المركز، وهذا يفرض عليها قصد الإقامة والاندماج في المجال الجديد خلق شبكات إجتماعية مع الوسط الإجتماعي والفيزيقي الجديد من أجل التعايش والتفاعل مع المقيمين الجدد من جهة ومن جهة أخرى مع السكان الأصليين كون هذا المجال - الضاحية - لا يخلو من سكان مقيمين به منذ زمن بعيد، فهذا التفاعل يساهم في خلق وتوسيع شبكات العلاقات الإجتماعية. فإذن فبعد ما كانت المدينة بمثابة مركز إستقطاب، وقوة جذب الأفراد لها أصبحت مركز طرد للسكان منها، فهذه الظروف جعلت من الأفراد القاطنين بها ينتقلون إلى جوانب أخرى من ضواحيها قصد توفير مجال عيش أفضل، بحثا عن الإستقرار والإقامة خارج مشاكل و زحم المدينة وفي نفس الوقت، الإقامة والسكن في مجال لا يخلو عن الخدمات والهياكل القاعدية والأساسية، وفي آن واحد لا يبعد عن المراكز الإدارية والإقتصادية، فيضمنون بذلك إزدواجية مجال الحياة.

ونظرا لتواصل التدفق السكاني نحو المركز (العاصمة)، حيث أن وتيرة الزيادة السكانية العاصمة في إرتفاع، وذلك حسب إحصائيات ولاية الجزائر، مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، وصل سكان العاصمة سنة 2006 إلى 2.846.580 نسمة، بعدما كان سنة 2004 يقدر بـ 2.733.337 نسمة، ووصل إلى 2.947.461 نسمة سنة 2008 (5).

فإن المدينة بدورها تنتج أحزمة حضرية تتوسع بها والمتمثلة في الضواحي والتي تستقبل فائض السكان من بلديات الوسط أي وسط المدينة، وكذلك الأنشطة التجارية التي إنتعشت في سنوات 1990 و 2000، " أصبحت تشغل مساحات معتبرة في العديد من بلديات الضاحية تتمثل في المخازن والمستودعات وتجارة الجملة ونصف الجملة كـ "الحمير" بالدار البيضاء و " المنظر الجميل " بالقبة، و " الطريق الرابط بين دالي إبراهيم، والشرافة " بالضاحية الغربية، وبالتالي أصبحت هذه المناطق هي المجالات المفضلة للسكان حيث تستقطبها، ليس فقط بسبب وظيفتها، وإنما كذلك لتوفرها على الأراضي من جهة، وباعتبارها أماكن قريبة من المركز " العاصمة " وخالية من الأنشطة الصناعية المولدة للتلوث البيئي من جهة أخرى " (6).

فلاحظ أن مركز المدينة (العاصمة) يدفع بجزء من سكانه نحو الضواحي، كما هو حال المدن الكبرى في العالم. وهؤلاء الأفراد أو السكان المتنقلين للضواحي يعتبرون فئات إجتماعية قادمة من مناطق مختلفة، وأحياء مختلفة من المركز، وهذا يفرض عليها قصد الإقامة والاندماج في المجال الجديد خلق شبكات إجتماعية مع الوسط الإجتماعي والفيزيقي الجديد من أجل التعايش والتفاعل مع المقيمين الجدد من جهة ومن جهة أخرى مع السكان الأصليين كون هذا المجال - الضاحية - لا يخلو من سكان مقيمين به منذ زمن بعيد، فهذا التفاعل يساهم في خلق وتوسيع شبكات العلاقات الإجتماعية. إذن فمميزات وخصوصيات المجال المستقطب (الضاحية) يؤثر على نوعية العلاقات الإجتماعية وممارسات الأفراد في تفاعلاتهم. فهل خصوصيات المجال في الضاحية (المجال الجديد) يؤثر على خلق علاقات إجتماعية جديدة ؟

و إنطلاقا من هذا التساؤل قمنا بوضع الفرضية التالية ، و التي من خلالها وضحنا النتائج المتوصل إليها بعد القيام بالعمل الميداني في البلدية على عينة من السكان المقيمين بها وذلك بطريقة عشوائية نظرا لحساسية الموضوع و إدراج أسئلة إعتبرها الباحثين جدّ خاصة و إضررنا بتطبيق المنهج الكمي و تقنية الإستمارة بالمقابلة، و ذلك على عينة بحث تقدر بـ 200 مبحوث، و توصلنا بعد جمع و تحليل المعطيات الميدانية إلى :

الجدول رقم (01): توزيع المبحوثين حسب درجة إتصالهم مع حيهم السكني السابق.

درجة الإتصال بالحي السكني السابق	تكرار	النسبة (%)
نعم	129	64,5%
لا	70	35%
بدون إجابة	1	0,5%
المجموع	200	100

من خلال المعطيات الموضحة أعلاه يمكن القول أنّ أغلب المبحوثين هم على إتصال مع أحياء سكناتهم السابقة ومع سكان أحياءهم السابقة حيث تقدر النسبة بـ 64,5% و 35% فقط لم يبقون على إتصالهم وعلاقاتهم مع حيهم السكني السابق وبالتالي لم يحافظوا على علاقاتهم الإجتماعية السابقة أي الأولى.

فمن هنا يمكن القول أنّ العلاقات الإجتماعية الأولية التي بناها الأفراد ف أحياءهم وسكناتهم السابقة لم تضمحل ولم تتلاش كليّا، بل هناك وهم الفئة الغالبة من حافظت على هذه العلاقات والتي تسمى حتى في مدرسة شيكاغو العلاقات الأولية، والتي تمّ التأكيد في هذه الدراسات على أنّ تتلاشى مع مرور الوقت قد تضمحل نهائيا وقد تضعف ولكن تبقى لفترات زمنية.

الجدول رقم (02): توزيع المبحوثين حسب الجنس وعلاقته بتلقيهم لمشاكل منذ إقامتهم بهذه المنطقة.

الجنس	ذكر	أنثى	المجموع
نلقي مشاكل منذ الإقامة	42	23	65
نعم	35%	29%	32,5%
لا	78	57	135
	65%	71%	67,5%
المجموع	120	80	200

صمّم الجدول أعلاه لمعرفة العلاقة بين الجنس وتأثيره على التصريح بوجود مشاكل بالحي منذ إقامتهم به أم لا، فوجدنا أنّ نسبة 67,5% من المبحوثين يصرحون بعدم مواجهتهم أو عدم تلقيهم لمشاكل منذ تواجدهم بالمنطقة وتنخفض إلى 32,5% عند الذين يقولون أنّ هناك مشاكل أو تلقوا مشاكل منذ إقامتهم، فنجد من الفئة الأولى نسبة 71% إناث بالمقارنة مع 65% ذكور، فهذا يعني أنّ الإناث أقل تلقيًا للمشاكل، وهذا نظرا لكون الإناث لا تستهلك المجال الخارجي (أي الحي) قدر ما يستهلكه أو يستعمله الذكور، رغم هذا فإن نسبة الذكور كذلك التي تصرّح بعدم تلقيهم للمشاكل يعتبر هام كذلك رغم ما هو معروف في مجتمعنا بأنّ فئة الذكور تقضي وقتا أكبر في الأحياء خارج البيوت وحسب ما صرّح بعض المبحوثين يقول بأنّ " عادة نسير إلى ساعات متأخرة من الليل في أحياءنا وحتى في أحياء مجاورة مع الأصدقاء والجيران، فنادرا جدّا أو حتى يكاد منعدم وجود شجارات ومشاكل في المنطقة ".

أمّا من الفئة الثانية فنجد نسبة 35% من الذكور يصرحون بوجود مشاكل، لكن يعتبرونها على حدّ قول البعض "مشاكل خفيفة وحتى لا نسمّيها مشاكل، بل هي أخطاء ناجمة عن سوء التفاهم بين أفراد وسكان المنطقة والحي، وعادة ما تكون ناجمة عن لعب الأطفال أو حتى مزاح الشباب، ويتم تسويتها دون تدخّل أجنبي، ولا سلطات ولا شرطة" إضافة إلى بعض المشاكل الأخرى التي يعتبرونها مشاكل جماعية والتي يتسم توضيحها في الجدول الموالي. فمن خلال هذه التصريحات يمكن القول أنّ سكان المنطقة متفقين ويؤكدون على أنّ هذه الأخيرة تتميز بالهدوء ويتميّز سكّانها بالإستقرار وإيجادهم للراحة، وهذا ما تؤكده نتائج الجدول رقم (30) في الفرضية الثانية.

الجدول رقم (03): توزيع المبحوثين حسب فئات السن وعلاقته بتلقيهم أو مواجهتهم لمشاكل منذ إقامتهم في الحي أو المنطقة.

السن	16-35 سنة	36-45 سنة	46-65 سنة	المجموع
مواجهة مشاكل في الحي منذ الإقامة	11 %17,18	21 %26,58	33 %57,90	65 %32,5
لا	53 %82,81	58 %73,42	24 %42,10	135 %67,5
المجموع	64 %100	79 %100	57 %100	200 %100

من خلال هذا الجدول نحاول التوصل لمعرفة العلاقة الموجودة بين السن ومدى مواجهة المبحوثين لمشاكل في الحي القاطنين به، فيتضح أنّ 67,5% منهم يصرحون بعدم وجود مشاكل وعدم مواجهتهم لا يعني مشاكل بالحي منذ إقامتهم به و 32,5% يصرحون عكس ذلك، ومن الفئة الأولى نجد نسبة 82,81% من الشباب الذين لا يتعدى سنهم 35 سنة يصرحون بعدم وجود مشاكل وتنخفض تدريجيا كلما ارتفع سن المبحوثين ليصل إلى 42,10% عند الذين يتراوح سنهم بين 46 و 65 سنة أي (أرباب بيوت)، حيث نجد 57,90% يصرحون بأنهم يواجهون مشاكل، وتنخفض النسبة تدريجيا عند الفئات الأخرى لتصل إلى 17,18% عند فئة الشباب الذين لا يتعدى سنهم 35 سنة، وهذه المشاكل التي يعانون منها فلمّا تكون شجارات مع الجيران، بل وكما جاء على لسان المبحوثين تتمثل: مشاكل تتعلق ببنائات الجيران التي لا تحترم المقاييس اللازمة، مشكل إنقطاع المياه بدون سابق إنذار، بعض حالات السرقة خاصة سرقة عتاد السيارات (مذياع... إلخ)، مشكل تعبيد الطرقات خاصة الطرقات الثانوية المؤدية للأحياء، السكنية، ألح البعض كذلك على مشكل تعبره هام والمتمثل في مشاكل مع الجيران وخاصة يخصصون بالذكر مشاكل بين السكان القدامى والجدد (يعتبرون السكان القدامى أقلّ مكانة إجتماعية منهم وبالتالي يولدون مشاكل وشجارات)، مشكل الكهرباء مع الجيران، مشكل نظافة الحي، هناك من صرح بوجود مشاكل مع العائلة الكبيرة، هناك أيضا مشكل الضجيج خاصة بالنسبة للمقيمين على الطريق الرئيسي والمحلات التي لا تنتهي خدماتها إلى ساعات متأخرة من الليل فهذا يعيق إستراحتهم وإعادة قواهم للعمل. وهناك حالات التي يعتبرها البعض نادرة حيث صرحوا بوجود بعض الجيران في قضايا في المحاكم بسبب البنائات التي لا تحترم المقاييس على حسب قول أحد المبحوثين: "أنا وجاري كنّا من أحسن الجيران، لكن نحن الآن في المحكم بسبب بناؤه لمسكن آخر في الحديقة سبب في هدم بعض الجيران بيتي".

فمن هنا يمكن التوصل إلى أنّ المشاكل التي يعانون منها هي مشاكل مع بعض الجيران خاصة السكان الأصليين أو القدامى بالمنطقة، ومع مصالح المياه والكهرباء والنظافة (القمامات لا تؤخذ يوميا)، ومصالح البناء والمراقبة التقنية التابعة للبلدية. ومن خلال هذا التحليل كذلك يتضح بأنّ هناك تصادم بين السكان القدامى الجدد هذا ما يعكس محولة كلّ جهة التعايش مع الأخرى وتثبيت مقاييسها وممارساتها وحتى قوانينها على الفئة الأخرى وهذا ما أدى بهم إلى التصادم في الآراء والمواقف، وهذا ما يتم إظهاره جليا في الفرضية الرابعة المتعلقة بالهويات الفرعية ومدى عايشها في المجال.

الجدول رقم (04): توزيع المبحوثين حسب الجنس وعلاقته مع إقامة المبحوثين علاقاته إجتماعية مع سكان المنطقة.

الجنس	ذكر	أنثى	المجموع
إقامة علاقات إجتماعية مع السكان	90	48	138
نـ	75%	60%	69%
لا	30	32	62
	25%	40%	31%
المجموع	120	80	200
	100%	100%	100%

من خلال هذا الجدول يتضح أنّ نسبة 69% من المبحوثين يصرحون بأنهم أقاموا علاقات إجتماعية مع السكان في منطقة إقامتهم الحالية، و 31% فقط لم يقيموا علاقات ونجد من الفئة الأولى نسبة 75% من الذين أقاموا علاقاتهم ذكور و 60% إناث، هذا ما يؤكد أن الذكور يقيمون أو مؤهلين بإقامة علاقات إجتماعية أكثر من الإناث وهذا بحكم أنّ الذكور وهذا شيء بديهي في مجتمعنا يقضون أغلب أوقتهم في الحي، خارج البيت أو في المقاهي، في دور الشباب فيم رافق رياضية... إلخ، هذا ما جعلهم يخلقون علاقات إجتماعية في هذه المنطقة، على خلاف الإناث حيث معظمهن يصرّحن أنّ العلاقات الإجتماعية التي قاموا ببناءها هي في دور الشباب، في المدارس وعن طريق مراكز التكوين ومع الجيران المقربين من البيت (في نفس الحي)، وهذا ما يعكس كذلك ثقافة مجتمعنا والتي تعكس كذلك قيم هذا الجمع والمتمثل في خروج الذكور وإستهلاكهم لكل المجالات، وعدم المساح للإناث بذلك معناه "محدودية مجالات الإستهلاك للمرأة أو البنت، وهذا حسب تصريح أغلبتهن".

أمّا من الفئة الثانية فنجد منهم 40% إناث والتي صرحت أنّها لم تُقم علاقات إجتماعية و 25% فقط من الذكور لم يقيموا علاقات إجتماعية وهذه الفئة من الذكور هي التي صرحت بأنّها حافظت على علاقاتها الإجتماعية وشبكاتها الإجتماعية في منطقة سكنهم السابق وكذلك لها عالمها الافتراضي داخل المنزل أي (أصدقاء وعلاقات إجتماعية قائمة عبر شبكة الانترنت)، هذا ما جعلها حسب تصريحهم لا تقضي أغلب أوقاتها خارج البيت في الحي، بل هي مُنطوية في عالمها وعلى حسب قول البعض هذا ما يجعلنا نتفادى العديد من المشاكل والشجارات في أوساط الحي وكذلك، كلّ واحد يحافظ على قدره ومكانته وإحترامه في الحي والمنطقة "أو كما قال الآخريين" الحفاظ على الإحترام في الحي ومع الجيران الأفضل أن لا تنقسم ولا نقضي أوقات كثيرة مع بعض بل التحية الصباحية والمساءلة كافية وكلّ منّا في حدوده ومسكنه، إلا في الأفراح والأقراح يجب أن نتعاون".

الجدول رقم (05): توزيع المبحوثين حسب الجنس والسن وعلاقته بنسج علاقات أو خلق وإقامة علاقات إجتماعية مع السكان.

الجنس	ذكور				أنثى				الجنس السن إقامة علاقات إجتماعية مع السكان في المنطقة
	35-16 سنة	45-36 سنة	65-46 سنة	الجزئي الجموع	35-16 سنة	45-36 سنة	65-46 سنة	الجزئي الجموع	
نعم	19 %90,47	32 %53,33	39 %100	90 %75	28 %65,11	09 %43,37	11 %61,11	48 %60	138 %1,15
لا	2 %9,53	28 %46,67	/	30 %25	15 %34,89	10 %52,63	07 %38,89	32 %40	62 %31
المجموع	21 %100	60 %100	39 %10	120 %100	43 %10	19 %100	18 %100	80 %100	200 %100

من خلال الجدول الموضح أعلاه، والذي بين العلاقة بين الجنس والسن وعلاقته بإقامة علاقات إجتماعية مع السكان في المنطقة السكنية الحالية (الضحية) يتبين أن 69% من المبحوثين أقاموا علاقات إجتماعية و 31% لم يقيموا علاقات.

ونجد من الفئة الأولى نسبة 90,47% من الذكور الذين أقاموا علاقات إجتماعية في منطقة إقامتهم وسنهم يتراوح ما بين 16 و 35 سنة، ونجد نفس فئة السن لدى الإناث حيث تقدر النسبة 65,11% وهذه الفئة تتمثل في فئة المتدربين والشباب، فئة المتدربين هي الفئة الأكثر تعارفا في المدارس ومراكز التكوين ودور الشباب لذا أقاموا علاقات وعلى حسب تصريحهم " نتعارف وندرس معا ونراجع معا أيضا ونتقاسم نفس الطريق إلى البيت لذا خلقنا علاقات من خلال الأوقات التي نقضيها معا ". وأغلب الشباب كذلك يصرح أنهم أقاموا علاقات في الحي، في المقاهي وحتى في مجالات مقاهي الإنترنت وفي الأخير حسب قولهم نحن أبناء حي واحد، ونتقاسم نفس المجالات، المحلات، أماكن الترفيه، وحتى المصالح والمشاكل المشتركة لذا أصبحنا نتعامل ونتعاون خاصة لحل مشاكلنا المتعلقة بالحي ".

وتنخفض النسب سواء عند الذكور أو الإناث كلما ارتفع سن المبحوثين، وهذا لعدم التفرغ حيث أن هذه الفئات والتي تفوق 36 سنة أو 40 سنة نجدها فئات العمال والموظفين والمكاثات بالبيت فليس لديهم وقت كافٍ لقضاءه مع الجيران والسكان في المنطقة، وإنما أقاموا علاقات والتي يعتبرونها محدودة على حد قولهم وتكمن في علاقات إجتماعية مبنية بحكم كبيرة (الأفراح والأعياد والأقارب وعلاقات من أجل المصالح المشتركة).

فمن هنا تظهر جليا النتائج المتوصل إليها في الدراسات الكلاسيكية والتي أثبتت بروز نزعة الفردانية في المجتمعات الحضرية وكذلك التضامن من أجل المنفعة العامة، على حسب دراسات " بارك " و " تويتز " ورواد مدرسة شيكاغو.

الجدول رقم (06): توزيع المبحوثين حسب أصل أغلبية الجيران أو السكان وعلاقته بدرجة نسجهم أو خلقهم أو إقامتهم لعلاقات إجتماعية معهم.

أغلبية الجيران	إقامة علاقات إجتماعية مع سكان المنطقة	نعم	لا	المجموع
عائلات قديمة في الحي	66	39	105	%49,53
عائلات جديدة في الحي	68	27	95	%44,81
من نفس منطقة الإقامة السابقة	5	/	5	%2,36
من نفس الأصل (الجهة)	4	3	7	%3,30
المجموع	143	69	212	%100

ملاحظة: إرتفاع عدد العينة بسبب تعدد الإجابات.

من خلال الجدول المصمم أعلاه والذي يوضح العلاقة الموجودة بين درجة إقامة سكان الضاحية علاقات إجتماعية مع سكان هذه المنطقة وعلاقته بأصل أغلبية الجيران المقام معهم علاقات، توصلنا إلى أن 49,53% منهم أي من العينة المبحوثة تصرح أن أغلب جيرانها من العائلات القديمة في الحي أو في المنطقة أي من السكان الأصليين بهذه الضاحية ونسبة 44,81% من المبحوثين يقولون أن أغلبية جيرانهم من العائلات الجديدة في هذه الضاحية التي يقيمون بها و 3,30% و 2,36% على التوالي هي الأسر التي تقول جيرانها من نفس منطقة إقامتهم السابقة أو من نفس أصلهم (الجهة). ونجد من الفئة الأولى من المبحوثين نسبة 56,52% لم يقيموا علاقات إجتماعية مع السكان القدامى أو الأصليين به الضاحية وتنخفض إلى 46,25% عند الذين يصرحون أنهم أقاموا علاقات إجتماعية معهم أما من الفئة الثانية فنجد نسبة 47,55% من المبحوثين الذين أقاموا علاقات إجتماعية، أقاموها مع السكان أو العائلات الجديدة بالحي و 39,13% التي تنخفض النسبة لدى المبحوثين الذين لم يقيموا علاقات مع هذه الفئة من السكان (أي الأسر الجديدة في الحي). من هنا يمكن التوصل إلى أن الأسر التي إنتقلت إلى هذه الضاحية نجدها أقامت أو خلقت شبكة علاقات إجتماعية فيما بينها ولم تقيمها مع السكان الأصليين أو القدامى، هذا ما يعكس عدم الاندماج كليا أو الإنصهار، إضافة إلى خلق ما يسمى تكتلات على حسب قول بعض المبحوثين وبالتالي ينتج عليه، فوارق ونزاعات وحتى في إمتلاكهم أو إستهلاكهم المجالات، فنجد بعض المبحوثين يصرحون بأن هناك فضاءات مستهلكة من طرف سان قدامى وأخرى من طرف الجدد أي ما يسمى لدينا إمتلاك أو إستهلاك رمزي للمجالات، وجود حدود رمزية، ويظهر و بالتالي ما يسمى بثقافات فرعية أو سلوكات وممارسات تُظهر هذا التقسيم في المجالات وكل من طرفه يحاول أن يسيطر ويطغى ويجسد ممارساته وأفكاره وسلوكاته في نفس المجال أي المنطقة.

الجدول رقم (07): توزيع الباحثين حسب تبادلهم للزيارات مع الجيران وعلاقته بمدة إقامتهم بالمسكن والحالي

المسكن	أكثر من 60 سنة	60-46 سنة	45-31 سنة	30-16 سنة	سنة إلى 15 سنة	أقل من سنة	مدة الإقامة في المسكن الحالي نسبة تبادل الزيارات
نعم	148 %74	4 %100	5 %100	1 %100	34 %79,07	103 %75,18	1 %10
لا	52 %26	/	/	/	09 %20,93	34 %24,82	9 %90
المجموع	200 %100	4 %100	5 %100	1 %100	43 %100	137 %100	10 %100

من خلال هذا الجدول المصمّم أعلاه والذي يوضح العلاقة الموجودة بينت مدة إقامة الباحثين في الحي وعلاقتها أو مدى تأثيرها على درجة تبادلهم للزيارات مع الجيران يتضح أن نسبة 74% من الباحثين يصرحون أنّهم لا يتهاونون على حد تعبيرهم وأنهم يقومون بالزيارات مع الجيران وذلك يعتبرون واجب، بينما 26% فقط لا يقومون بذلك، ونجد من الفئة الأولى أن النسب تنخفض كلما إنخفضت مدة الإقامة في المسكن والحالي حيث نجدها تنخفض من 79,07% من الذين تفوق مدة إقامتهم في الحي 16 سنة، ونخفض تدريجيا كلما إنخفضت مدة الإقامة في الحي لتصل إلى 10% من الذين يصرحون بأنهم يقومون بتبادل الزيارات مع الجيران ومدة إقامتهم بالحي لا تتعد السنة (أي السكان الجدد).

ومن الفئة الثانية، فنجد العكس أي أن 90% من السكان الذين لا تفوق مدة إقامتهم سنة لا يتبادلون الزيارات وتنخفض النسبة كلما زادت أو إرتفعت مدة إقامة الباحثين في الحي حيث تصل إلى 20,93% فقط عند الذين تتراوح مدة إقامتهم بين 16 و 30 سنة وبصرحون أنهم لا يقومون بتبادل الزيارات وذلك على حسب قول أحد الباحثين " في الضواحي يطغى الإنغلاق في السر والعائلات فنحن جيران لا يفرقنا سوى جدار، لكن لا نتعارف ولا نتبادل الزيارات ولا الخدمات ولا ..."، وأخر يقول أن المنطقة لا تتميز بوجود مساحات الإلتقاء كثيرا كالأسواق الشعبية، المقاهي الشعبية، إضافة إلى أن الأفراد حاليا ليس لهم أوقات فراغ فمن العمل إلى البيت خاصة مع إزدحام كل الطرقات، فالوقت القليل الذي نملكه يخصص للأسرة الصغيرة وفي نهاية الأسبوع نقوم بتلبية حاجيات المنزل والأسرة وزيارة الأولياء (الأسرة الكبيرة)، لذا الجيران هنا تقتصر معاملتنا في التحية الصباحية والمسائية والأعياد فقط.

وهناك من قال بالتعبير الصريح " ليس في وقت جارك يستر عارك وإثما في وقت شدّ قدرك باش يُقَادرك " .

الجدول رقم (08): توزيع الباحثين حسب مدة إقامتهم بالمسكن الحالي وعلاقته بمدى تبادلهم للخدمات والمساعدات مع الجيران.

المسكن	أكثر من 60 سنة	60-46 سنة	45-31 سنة	30-16 سنة	سنة إلى 15 سنة	أقل من سنة	مدة الإقامة تبادل الخدمات والمساعدات
نعم	108 %54	4 %100	5 %100	/	23 %53,49	71 %51,82	5 %50
لا	92 %46	/	/	1 %100	20 %46,51	66 %48,17	5 %50
المجموع	200 %100	4 %100	5 %100	1 %100	43 %100	137 %100	10 %100

صمّم الجدول أعلاه لمعرفة العلاقة بين مدة إقامة المبحوثين بمساكنهم الحالية وبالتالي بالحى ودرجة تبادلهم للخدمات والمساعدات، فوجدنا أنّ 54% يصرحون بأنهم يتبادلون خدمات فيما بينهم، وبالمقابل 46% لا يقومون بذلك، ومن الفئة الأولى نجد، النسب متقاربة، رغم إختلاف مدة إقامتهم بالحى حيث تتراوح تدريجياً على التوالي بين: 53,49% و 51,82% و 50% عند الذين تتراوح مدة إقامتهم بين 16-30 سنة، 1-15 سنة، وأقل من سنة، وهؤلاء المبحوثين يصرحون أنّ نوع هذه المساعدات والخدمات هي جدّ سطحية وخفيفة وتنحصر هذه المساعدات على حد قول معظمهم وأغلبهم في الأعياد والأفراح والأحزان فقط، بينما المساعدات من النوع الثقيل حسب قول العديد من المبحوثين يتم الإعتماد فيها على الأصدقاء خاصة القدامى أي من الأحياء السكنية السابقة التي كانوا يقيمون فيها والمساعدات تنحصر في [حل المشاكل العويصة ومنها العائلية، الحاجة إلى سلعة أو مبالغ مالية معتبرة، حيث يقول أنّ " العشرة بين من يقف معك والملح الذي كان في الأحياء السابقة لا يستبدل حيث تتقاسم الكثير من الأسرار والأفراح والأفراح مع الجيران القدامى وفي المجال السكني القديم والذين لا يزالون ينتسبون إليه رغم خروجهم منه حسب ما صرح به البعض في المقابلات التي أجريت معهم] أنا ابن باب الواد أو بلكور أو ...] أي في ذهنياتهم هذا الإنتساب المجالي يعكس شخصيتهم وممارسات وحتى لقاءاتهم وعلاقاتهم الحالية.

ونلاحظ كذلك من خلال معطيات الجدول أنّ الفئات التي تفوق مدة إقامتها بالمنطقة 46 سنة وهي فئة قليلة، فهي تصرّح أنّها تقوم بتقديم مساعدات وخدمات ولكن هي فئة على حد تعبيرها منطقية نسبياً على حالها أي مغلقة ولا تتعامل إلّا فيما بينها حيث يقولون أنّه لم يتمكن من التعامل مع الفئات المستقطبة أي الجديدة للمنطقة وحتى التي تفوق 15 و 20 سنة من الإقامة ولا يمكننا أن نندمج معهم لأننا سكان أصليون وهم يعتبرون غرباء علينا من حيث الطباع والألفاظ والتفاعلات لذا من الأفضل لنا الإنطواء حفاظاً على مجالائنا و " حرمتنا " وممارساتنا التي تعتبر و لو جزئياً غير متمدنة وهذه الفئة في الحقيقة نجد أنّها في صراع بين ما يتبنوه أبناءهم من ممارسات وبين ما يعيشونه من نمط يمكن القول عنه ريفي [أخص بالذكر بعض السر التي أبناءها يعيشون بكل متطلبات الحياة برفاهية من سيارات و وسائل تكنولوجية... إلخ وأولياء متمسكون بتربية المواشي والدواجن والأبقار... إلخ].

ونجد من الفئة الثانية ما يثبت ما ذكر آنفاً حيث أنّ النسب ترتفع كلما قلّمت مدة الإقامة ويمكن التوصل إلى أنّ الفئة الحديثة الإقامة، لا تتبادل الخدمات والمساعدات، هذا بنسبة 50% وتنخفض كلما إرتفعت مدة الإقامة في المساكن وفي الحى، وهذا ما يعكس بدوره درجة التفاعل بين الأسر بدوره الأقدمية بالمسكن الحالي.

الخاتمة:

من خلال هذه الفرضية حاولنا معرفة درجة إدماج الأفراد في الحى وفي المنطقة ومدى تأثير ذلك على خلق علاقات إجتماعية في الحى الجديد ودرجة تعايشهم وتفاعل سكان المنطقة فيما بينهم، فتوصلنا إلى أنّ العائلات رغم إنتقالها من أحياء سكنها السابقة إلّا أنّ 64,50% لا يزالون على إتصال دائم مع الجيران القدامى والأصدقاء في الحى القديم، وذلك نظراً لمدة إقامتهم بالحى القديم، ومدى تعايشهم وتضامنهم وتفاعلهم... إلخ. بينما نجد المبحوثين في منطقة مسكنهم الحالية رغم إختلاف جنسهم وسنهم فإنهم لا يواجهون مشاكل فهذا إنّما يدل على الإستقرار والهدوء الأمر الذي صرّحوا به وأقرّوا على تميز هذه الضاحية بهذه الخصائص، وهذه الميزات ساهمت بنسبة كبيرة في إقامة علاقات إجتماعية فيما بين السكان وذلك بإختلاف جنس المبحوثين حيث أنّ النسبة تقدر بـ 69% وهذه النسبة تترجم درجة تعايش وتفاعل السكان بالمنطقة بغض النظر على مدة إقامتهم بالمنطقة حيث تقدر على التوالي بـ 49,53% و 44,81%.

هذه العوامل السابقة الذكر أي الهدوء، درجة التفاعل والتعايش تؤثر على نية مغادرة المنطقة فتوصلنا من خلال المعطيات أن حقيقة المحتوى الاجتماعي للمنطقة له تأثير على نية مغادرتها حيث وجدنا النسب عالية ومتقاربة لدى السكان الذين عبروا عن رضاهم بالمنطقة وسكانها ودرجة تفاعلهم وهم راضون وغير مستعدون لمغادرتها، فبالإضافة إلى عامل التعايش مع السكان الذي يدفعهم بالإستقرار بالمنطقة فإن هدوء المنطقة وأمانها وخلوها من المشاكل، قربها من المركز، حسن الجوار، توفر كل متطلبات وحاجيات المواطن، تعتبر كلها محتوى إجتماعي ورمزي للمنطقة والتي دفعت بالسكان للإقامة بها وعدم الإنتقال منها.

ويجدر كذلك للإشارة على أن السكان رغم إنحدارهم المختلفة فإنهم قاموا بتأسيس وخلق درجة من التفاعل والتعاون والتضامن داخل الأحياء وحتى تبادل الزيارات والمساعدات، فهذا إنما دلّ فهو يدل على قوة العلاقات التي نشأت من خلال إقامتهم بالأحياء، رغم وصول السكان إلى المنطقة في فترات زمنية مختلفة ومن مناطق مختلفة كذلك. غير أن المساعدات تقدم عند الحاجة والزيارات كذلك تجسد في المناسبات وهذا بحكم مميزات وعادات وتقاليد المجتمع الجزائري (المناسبات الدينية والأفراح)، أما المساعدات فتكمن في مدّ يد المساعدة في الأفراح والأحزان، وهذا من مميزات المجتمع الجزائري.

فبغض النظر عن هذا النوع من المساعدات فإنّ الأسر تتميز بنوع من الإنغلاق، حيث تصرّح معظمها أنه " هناك جيران لا نتعامل معهم ولا نعرفهم، ولا نتفاعل معهم إلا في الضرورة " وتكمن هذه الضرورة في ما ذكر آنفاً فمن هنا يمكن القول أن المجتمع الحضري الجزائري رغم أنه يتميز بنوع من العلاقات الإجتماعية التي تبنى في المجالات الحضرية، إلا أنها يمكن القول أنها نسبية (مناسباتية) ويطغى على المجال الحضري الحضري ككل المدن في العالم التزعة الفردانية والتي أثبتت في دراسات سابقة بأن الفرد في المدينة يبقى غريباً، ويندمج ويتعايش من أجل تحقيق المنافع الخاصة قبل المنافع المشتركة.

الهوامش

¹ - فوزي بودقة، " وجه مدينة الجزائر، وجوانب من مسارها العمراني "، مجلة إنسانيات، مجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا و العلوم الإجتماعية، العدد 44-45، 2009، ص: 43-64.

² - نفس المرجع السابق، ص: 45-46.

³ - O.N.S : Recensement General de la Population de L'habitat, Donnée Statistique, Résultat Préliminaire, N : 496, 2008, P : 03.

⁴ - فوزي بودقة، مرجع سبق ذكره.

⁵ - O.N.S : Recensement General de la Population de L'habitat, Donnée Statistique, Résultat Préliminaire, N : 496, 2008, P : 03.

⁶ - فوزي بودقة، مرجع سبق ذكره.